

أطروحات قادة الاستيطان الفرنسيين بغرب الجزائر

في أوائل الاحتلال.

د/ بلبروات بن عتو

أستاذ محاضر -أ-

قسم العلوم الإنسانية

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

جامعة جيلالي اليابس - سيدي بلعباس-

قامت السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر عامة بما فيها الغرب الجزائري على احتلال الأرض أولاً ثم توطئتها بالأوروبيين للمحافظة على مكتسبات الاحتلال وضمان البقاء الفرنسي بالبلاد مثلما فعل الانجليز بأرض الهنود الحمر بعد اكتشاف القارة الأمريكية في نهاية القرن الخامس عشر. لهذا يعتبر موضوع الاستيطان الفرنسي- الأوروبي من المواضيع الهامة في تاريخ الحركة الاستعمارية الفرنسية، وما يلاحظ أن الإدارة الفرنسية قد سعت إلى إنجاح مشروعها الاستيطاني في الجزائر في أوائل الاحتلال بطرق تعتمد على العنف تارة والقانون تارة أخرى، وكان للاستيطان الفرنسي عدد من المسائل يتوقف عليها فشله أو نجاحه؛ الأولى تتعلق بالأرض وطرق الحصول عليها من أجل كسب الشرعية في البقاء، والثانية خاصة بالهجرة الفرنسية والأوربية إلى البلاد الجزائرية وطرق دعمها وتفعيلها وكيفية توزيع المهاجرين الأوروبيين على المناطق الجزائرية، والمسألة الثالثة ترتبط بكيفية تأمين حياة المستوطنين من غارات القبائل الجزائرية المقاومة والوسائل التي يمكن اعتمادها في سبيل إقرار الهدوء والاستقرار بالجزائر⁽¹⁾.

والاستيطان نوعان؛ استيطان مدني واستيطان ريفي، ويعتبر هذا النوع الأخير؛ الأساس في نجاح المشروع الاستيطاني الفرنسي بالجزائر، لذلك سعى قادة الجيش الفرنسي مثل : "كلوزيل Clauzel" و"بيجو Bugeaud" و"دي لامورسيير De Lamoricière" وغيرهم إلى الحصول على الأراضي وإنشاء المزارع من أجل تكثيف عملية الاستيطان التي ظلت تتعثر بفعل المقاومات الريفية وفي مقدمتها مقاومة الأمير عبد القادر.

وبهذا الصدد نحاول رصد أفكار وتجارب وأطروحات عدد من القيادات الاستعمارية العسكرية الفرنسية، في موضوع الاستيطان والتعمير بالجزائر عامة والغرب الجزائري خاصة.

1- أطروحات قادة الاستيطان .

أ- أطروحة الجنرال كلوزيل:

بادر الجنرال كلوزيل بتأسيس شركة فلاحية أطلق عليها اسم "المزرعة التجريبية الإفريقية"، و شجع الجنود للحصول على أسهم فيها⁽²⁾، كما سيطر على مساحات زراعية تقع في ضواحي مدينة الجزائر، كما استولى على أملاك الأوقاف وذلك بموجب قرار صدر بتاريخ 21 سبتمبر 1830، نص صراحة على مصادرة أملاك الأوقاف و البايلك وتوزيعها على المعمرين الأوربيين، كما سعى جاهدا إلى تشجيع المهاجرين من أوروبا إلى القارة الأمريكية للقدوم إلى الجزائر، باعتبارها الأقرب إلى أوروبا من العالم الجديد. أثبتت سياسة كلوزيل -المترامنة مع الاستيطان الحر- فشلها في استقطاب أعداد كبيرة من المعمرين، مما جعل الإدارة الاستعمارية تلجأ إلى نوع جديد من الاستيطان اصطلاح على تسميته بالاستيطان الرسمي الذي تشرف عليه الدولة بنفسها.

ب- أطروحة الماريشال بيجو:

اقترح الماريشال بيجو في مذكرته، فكرة استحداث القرى المحصنة المأهولة بالمستوطنين العسكريين، الذين يصيرون عساكر فلاحين؛ فهم يزاولون بقراهم، الفلاحة، ويحملون السلاح إذا اضطروا إلى دفع غزوات العرب "الجزائريين" العصاة، كما يمكنهم حمل السلاح لحماية منشآت المستوطنين المدنيين الذين ينظمون ضمن مليشيات. وبهذا نعطي -حسب بيجو- نفسا جديدا للاستيطان الأوربي بالمنطقة، ونريح بعض السنين لفرض الهيمنة الفرنسية على الجزائر⁽³⁾.

وفي هذا الصدد ننقل ما قاله بيجو أمام أعضاء الجمعية الوطنية الفرنسية في عهد الملك لويس فليب Louis philippe⁽⁴⁾: " من أجل السيطرة على مجتمع محارب، يجب التعود على الأشغال الزراعية مثلما تفعل القبائل العربية، فهي تنتج وتدافع عن أرضها. يجب أن يبدأ الأوربيون استيطانهم بالخيام المصنوعة من جلد الجمال، ويجب أن ننتظر طويلا إذا أردنا أن نبدأ في البناء، ثم تأتي القرية الزراعية والدفاع، ولا نأمل أن يتحقق ذلك بفضل المعمرين الأوربيين الهاربين من الفقر في بلدانهم، لأن المستوطنين المطلوبين في هذه المرحلة هم الشجعان الذين يدافعون عن محصولهم وقطعانهم؛ فالعساكر الأوربيون المسرحون من الخدمة هم الكفيلون بإرساء الأرضية للاستيطان الأوربي بالجزائر، ويتوجب عليكم أن تؤسسوا جيشا قويا إذا أردتم الحفاظ على المستعمرة في أول حرب لكم في أوروبا، وأنتم موجودون بين اليهود والأتراك والعرب بالجزائر.

ولجلب العساكر المسرحين يجب إغرائهم بالملكية، والأجر، والمواد الغذائية لمدة سنتين أو ثلاث، ويمنح لهم أولاً الخيام في انتظار القرى، وبقرتين أو ثلاث أبقار لكل رجل، وبضع أغنام، وأدوات، وبضع عربات، وتسهيل زواجهم. هكذا يمكن توطين وتعمير المناطق البعيدة عن المدن، وهي بصيغة أخرى المراكز الأمامية للاستيطان. كما يمكن أن نضع بين المدن والمستوطنات العسكرية، معمرين مدنيين، وبهذا يمكن حمايتهم وإعطائهم الفرصة لبناء قراهم وفق مخطط يضع الدفاع والزراعة ضمن أولوياته⁽⁵⁾.

ثم قال بيجو أمام الجمعية الفرنسية: "أنتم مخطئون، يلزمكم اجتياح عسكري واسع، وقبله يتسنى لكم أن تنجحوا في تجميع المعمرين. يجب أن توجهوا لهم نداء تشجيعياً⁽⁶⁾ وبدونه لا تتوصلون إلى نتيجة. وحيث توجد المياه النقية والأراضي الخصبة، في تلمسان ومعسكر، يجب عليكم أن تستحدثوا روافد بشرية أوربية دون أن تبحثوا عن أصحاب هذه الأراضي، فيجب أن توزعوها عليهم وتدرجوها ضمن ملكياتهم الخاصة، والأمرية الملكية تؤمن لهم الأسلحة والذخيرة للدفاع وأدوات الزراعة والإبل والخشب والحديد لبناء قراهم ومواد غذائية لسنتين أو ثلاث إلى أن يصيروا يعتمدون على ذواتهم.

ابحثوا عن الكولون في كل مكان؛ في المدن وفي الأرياف، عند جيراننا، فنحن نحتاج إلى 150.000 مستوطن في سنوات معدودات. يجب أن يكون الاستيطان سريعاً، ولا يشكل خطراً على فرنسا. أتركوا طويلاً 90.000 رجل المخصصة لإخضاع البلاد الجزائرية، فالاستيطان هو الذي يصون الغزو الفرنسي للجزائر ويحرر جيشكم...⁽⁷⁾"

ورأى بيجو أن فرنسا تريد أن تفرض هيمنتها المتينة على الأراضي الداخلية للبلاد، ولا يتأتى ذلك إلا بتجمعات بشرية أوربية منتجة ومحاربة في آن واحد، تستطيع أن تدفع وتصد غزوات القبائل العربية. لقد درس بيجو الاستيطان عند الإسبان، ووجد عوامل فشله، ودرس نجاح الاستيطان عند الرومان واليونان، وبالتالي بنى أفكاره على خلفية تاريخية؛ فالرومان استعمروا البلدان عسكرياً، ثم فتحوا طرق الاتصال وكانت صلبة، تحميها مراكز عسكرية في نقاط معينة. أما اليونان فقد قامت مستعمراتهم أولاً على توفير الآلات الضرورية للزراعة ثم جلبوا الكولون نحو القرى في إطار التطوع أو في شكل عائلات، لها أولاد، عدة. وبدأ الاستيطان⁽⁸⁾.

وبينت تجربة النتيجة للقيادة الاستعمارية الفرنسية أنه يستحيل حماية الاستيطان بمزارع معزولة، حيث اختفت في أول صدام عسكري، ولا يمكن للجيش الفرنسي أن يؤمن المستوطنين المزارعين بسبب ما يعانيه من الضربات المتتالية والأمراض التي تفتك بالجنود. لذلك رأى بيجو أن يبدأ الاستيطان بالتعمير في

القرى الدفاعية والزراعية في آن واحد، فهي قرى عسكرية وزراعية يمكنها أن تدافع عن نفسها في انتظار وصول قوات الدعم والنجدة.

ودعا بيجو إلى تشكيل جمعيات كبيرة من المستوطنين تحظى بدعم السلطة وتستفيد من نصائح المارشال بيجو التعميرية وتعهده أن جيشه سيلازمهم ونجداته العسكرية ستكون حاضرة. واعتبر أن الزراعة والاستيطان هما وجهان لعملة واحدة، والاستيطان لا يمكن أن يقتصر على المدن بل على الريف أيضا لأنه يجب أن تستغل الأراضي الزراعية لتخفيف العبء على فرنسا التي يفصل بينها وبين الجزائر البحر. كما نبه بيجو إلى أن خصوبة الأراضي في الريف الجزائري هي أولى الضروريات للاستيطان وهذا لا يعني إهمال الاستيطان في المدن بل يجب على السلطة أن تدفع المستوطنين في المدن إلى نقل صناعتهم ورؤوس أموالهم إلى المزارع، لأن المدن هي فقط رأس الاستيطان وليست الجسد، ثم طالب حكام فرنسا أن يطلبوا رؤوس الأموال الموجودة في الخارج ويروجوا للأوربيين والفرنسيين أنهم جهزوا القرى بالهياكل وأحاطوها بالبساتين الخصبة وهي محمية بطريقة جيدة من الغارات المفاجئة للعدو، وأوصاهم بأن يكونوا على يقين بأنه سيظهر كولون للتعمير وهنا تكون فرنسا قد أسست مستعمرة وستجني ثمار تضحياتها⁽⁹⁾.

لقد جاء بيجو إلى الجزائر بمخططين، يعتبران ثمرة تجربته وتفكيره ومبادئه، وهما:

-مخطط الريف: ويعتمد على تدمير قوة الأمير عبد القادر وغزو واحتلال كامل للبلاد الجزائرية.

-مخطط الاستيطان: ويتضمن هذا المخطط عملية الاستيطان وحماية المستوطنين وإدارة العرب من خلال كسب ولاء القبائل والهيمنة عليهم، ولعل أهم نقطة في هذا المخطط، هي ما تعلق بحماية الاستيطان، إذ استفاد المارشال بيجو من التجربة الإسبانية حيث توصل إلى أنه بعد 283 سنة فقدت إسبانيا هيمنتها على الجزائر⁽¹⁰⁾، لهذا حدد بيجو النقاط التالية لنجاح الاستعمار الفرنسي بالجزائر وهي:

-يجب إخضاع العرب المحاربين بالقوة، ويتطلب ذلك جيشا قويا لا يقل عن 80.000 جندي.

-ضرورة زرع روافد بشرية أوربية في الجزائر، على أن يكون المستوطنون الأوربيون، يمتلكون القوة

الجسدية ومهارة الحرب، وأن يكونوا أكثر نشاطا وعملا، للتصدي للعرب.

-الابتعاد عن فرض العادات والقوانين الفرنسية على الأهالي⁽¹¹⁾. فيجب أولا إدارة شؤونهم

حسب عاداتهم وتقاليدهم، وديانتهم، بالاستعانة برؤساء بني جلدتهم، كما يجب احترام ممتلكاتهم وإجبارهم على الاستقرار وتشجيعهم على بناء منازلهم⁽¹²⁾.

رأى بيجو أنه لا يمكن للاستعمار أن ينجح بدون استيطان ولا يوجد استيطان بدون هيمنة

سياسية، فيجب فرض الهيمنة على كامل القطر الجزائري ومباشرة الاستيطان بشكل تدريجي⁽¹³⁾. وفعلا

فقد بدأت الهيمنة في التأسيس حيث انهار الأمير عبد القادر، وما كان موجودا قد أصابه الخراب، وبالتالي لابد من إعادة البناء، وتصويب الهيمنة الفرنسية، وبصيغة أخرى يجب تنظيم وفرض السلطة الفرنسية على العرب كما يجب توفير قوة عسكرية لا تقل عن 80.000 عسكري لإخضاع شعب محارب، من المراهقين إلى الشيوخ، ويمكن أن يلد مع الجيش؛ التجارة، الزراعة، الصناعة، التعمير المدني، والمداحيل العمومية، ومع الجيش تتطور هذه النشاطات⁽¹⁴⁾.

ج- أطروحة الجنرال دي لامورسيير:

بين المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان Ch.A. Julien أطروحة دي لامورسيير الاستيطانية وذكر أنه لم يتقاسم تصورات المارشال بيجو بشأن الاستيطان، بحيث أن تأهيل الجزائر بالأوروبيين يتطلب نفقات باهظة من أجل نتائج محدودة ولا يعدو أن يكون الاستيطان مسألة أموال أو بالأحرى مسألة رجال. ويمكن للرأسماليين الأوروبيين أن يتعاونوا مع الدولة الفرنسية لتثبيت الكولون بالمنطقة إذا منحنا للمساهمين تحفيزات تتعلق برؤوس أموالهم المستثمرة وكذا عمليات الاستغلال وحقوقهم في الرهن العقاري. ويستبعد برنامج لامورسيير الاعتماد على الأهالي الجزائريين بحيث سيتم الاستيلاء على الأراضي الخصبة كلما تطلب ذلك، وتصور لامورسيير أنه بالامتيازات الكبيرة يمكن تأسيس ثماني بلديات⁽¹⁵⁾ ضمن المثلث الاستيطاني بالغرب الجزائري⁽¹⁶⁾، تتربع على مساحة تقدر بـ 80.000 هكتار وتستقبل 5.000 عائلة أوربية، وتحمل الدولة الفرنسية أعباء الأشغال الأساسية للتحصينات وقنوات الري وتسوية الطرقات، على أن لا يكون استقرار المستوطنين سابق للأشغال المذكورة كما يتوجب على الدولة أن توفر ضروريات الاستقرار ولا تنجر وراء الأبهة، ومن جهة أخرى، تستفيد مؤسسات المقاولين من أراضي، مجانا، على أن توزعها على المستوطنين بحيث كل مستوطن يمكنه الحصول على قطعة أرض تتراوح مساحتها بين 4-6 هكتارات، وتقع على الكولون دفع نفقات الاستثمار سنويا، ولتأمين ذلك يتوجب عليهم دفع محصولهم من القمح إلى الإدارة الفرنسية بعد انقضاء عشر سنوات⁽¹⁷⁾.

ولما ارتقى الجنرال دي لامورسيير في جوان 1848 إلى منصب وزير الحربية، بدأ يلتفت إلى الدراسات المنجزة ميدانيا من طرف ضباطه، فبدأ يختار البلديات بمقاطعة وهران لاستقبال المهاجرين الباريسيين، ولهذا كتب دي لامورسيير في مذكرته أنه بناء على تعليمة الحاكم العام الفرنسي المؤرخة في 08 أبريل 1846، قرر أن يوضح للحاكم العام، المواقع المؤهلة لأن تكون محل استيطان أوربي بمقاطعة وهران. وكان قرار 2 أبريل 1846 هو الذي حدد مكونات اللجان المكلفة بفحص أرض الميدان والإجابة على كل التساؤلات التي يفرضها مشروع تأسيس مراكز تجمع بشري استيطاني أوربي.

واعتقد لامورسيير أنه حتى يتم تفعيل هذا العمل لابد من التساؤل أولاً عن البرنامج المراد إنجازه في وقت معين، والجهود الواجب توفيرها لتحقيق هذا البرنامج، سنة بعد سنة، فلا بد أن نطرح الإشكالية الواجب حلها حول عدد السكان بمقاطعة وهران في وضعيتها الحالية أي تحديد رقم التعداد السكاني للأوروبيين المزارعين الذين لهم القدرة على كفاية معيشة 25.000 ساكن، و 2.000 من الخيول والبغال الموزعين على مدن مقاطعة وهران، وكذلك 25.000 رجل من الوحدات العسكرية و 6.000 من الخيول والبغال.

إذا لا بد من تحديد الأراضي المناسبة والكافية لاستقبال هذا الجمع البشري الأوربي، فهناك مثلث كبير يجب عليه أن يستوعب المستوطنين الأوربيين في مقاطعة وهران، قاعدته السواحل الممتدة من وهران إلى مستغانم، وقمته معسكر. هذا المثلث هو أول ميدان للاستيطان الأوربي⁽¹⁸⁾.

وكلف لا مورسيير، اللواء دي مارتيمبراي De Martimprey بتقسيم الأراضي بين الأهالي المالكين ومنحهم حق الانتفاع الزراعي حتى يتسنى إبعاد كل ما من شأنه إعاقة الاستيطان الأوربي. كما كلف أحد القيادات العسكرية بإعداد فهرس مسح للأراضي الزراعية وتعيين المواقع التي تتوفر على تربة خصبة ومياه باطنية وكذا الشروط الزراعية المعروفة التي تساعد على تأهيل الأوربيين بها واستحداث مراكز استيطانية. وبناء على المجهود المشترك للقادة العسكريين الفرنسيين المهتمين بالاستيطان، فتح المجال للاتصال، وقام النقيب في سلاح المدفعية السيد أزما دي مونتغرافيه Azema de Montgravier بالبحث عن المواقع الأثرية للمؤسسات والهياكل الرومانية قصد إجراء مقابلة بين ما صنعه الرومان وما يريده الفرنسيون في الغرب الجزائري⁽¹⁹⁾.

وقد اعتمد الضباط الفرنسيون من أجل مسح الأراضي على أحد الجزائريين المسنين، كان يقدم سابقاً خدماته للأتراك العثمانيين، وهو متكون بشكل جيد ولملم بقضايا الملكيات العقارية، وانتهى تحقيق الضباط الفرنسيين إلى النتائج التالية:

* وضع الضابط مارتيمبراي مذكرة مصحوبة بمخطط بين فيها الوضعية الحالية للمواقع والمناطق المرشحة للاستيطان الأوربي.

* أعد الضابط إيلي Illiers جملة من التوصيات حملت وصفا لكل بلدية مقترحة مرفقة بخريطة.

* أنجز الضابط أزما دي مونتغرافيه مذكرة بين فيها تمركز النفوذ الروماني في الغرب الجزائري وسياسة

الرومان تجاه الأهالي مع خريطة تبين المواقع الأثرية الرومانية⁽²⁰⁾.

بعد هذا البحث المعمق الذي قام به الضباط الفرنسيون حول تهيئة الأرضية للاستيطان الأوربي في

الغرب الجزائري، ذكر الجنرال لامورسيير أنه حان الوقت بعد هذا العمل أن نشير إلى الطريقة التي يجب

تبنيتها لجلب الكولون وتحديد نفقات ذلك. وأولى الأراضي التي يمكن استيطانها في الغرب الجزائري هي على النحو الآتي:

*أراضي سيدي علي بـ170 عائلة.

*أراضي الحسين الطوال بـ200 عائلة.

*أراضي تازوت بـ70 عائلة.

*أراضي قوديل بـ140 عائلة.

*أراضي قصيبة بـ72 عائلة.

*أراضي أرزيو بـ200 عائلة.

*أراضي بطيوة بـ100 عائلة.

*أراضي تليلات بـ50 عائلة.

*المجموع : 1002 عائلة مستوطنة أوروبية. (21)

ويمكن تقدير تعداد المستوطنين الأوروبيين حسب المناطق كالاتي:

1-منطقة مستغانم: يمكن استحداث بلديتين هما:

*بلدية البساتين بـ250 عائلة.

*بلدية حاسي ماماش بـ130 عائلة. بمجموع قدره 430 عائلة.

2-منطقة سيق ويمكن استحداث بلديتين تستوعبان 600 عائلة وهما بلدية سان دنيس Saint Denise وبلدية الاتحاد الفلاحي الافريقي.

3-بمدينة معسكر وضواحيها ويمكن استحداث بلديتين تستوعبان 350 عائلة وهما بلدية معسكر

وبلدية سيدي دحو. ومجموع العائلات الأوربية هو 2.332 عائلة. وهنا يدعو لامورسيير، الأوروبيين إلى توطين هذه البلديات الأربعة عشر المقترحة، ويطلب من الحكومة الفرنسية أن توفر القروض لحيازة الأرض ولشق مسالك الاتصال الضرورية وبصيغة أخرى توفير قروض لتحضير استقرار المستوطنين الأوروبيين بالغرب الجزائري (22).

تم تقدير نفقات كل بلدية، والأشغال الضرورية لاستحداث كل منها، قصد تهيئة الأرضية لخلق تجمع بشري كولونيالي، وظهرت معوقات الاستيطان في تلك الشكليات التي فرضت على المستوطنين وبطء تنفيذ العملية الاستيطانية، إضافة إلى الإفراط في المصاريف المفروضة على عاتق الحكومة لخلق

هياكل وأشغال عمومية راقية في البلديات المستحدثة، وهي أشغال ضرورية ومفيدة لكنها غير لازمة للوجود البشري ولا تشكل متنفسا لها⁽²³⁾.

ولدت القرى الجديدة في حالة من الكمال لا تزال مجهولة في أغلب القرى الفرنسية، بطرق وأزقة جيدة وحقول مسجلة وجسور فوق كل الوديان وكنائس جميلة ومدارس ومنازل مشتركة وغيرها. لقد كلف ذلك الكثير من المال والوقت، وتم تحديد مساحات بناء القرى بعدد من المعالم مثل الساحة والطرق الرئيسية. وطالب دي لامورسيير أن يستحوذ المستوطن الأوربي على الأرض المخصصة له وأن يرسم حدود أرضه بعدد الخطوات ويضع عند زواياها صخورا ثم يتبعه عمل المهندس المختص في مسح الأراضي. ولا يمكن إدراج الكنيسة وبيت القسيس والمدرسة ودار البلدية ومقر الدرك ضمن مصاريف الدولة الفرنسية والمستوطنة في بداية نشأتها، فهذه المنشآت قد تحتاج إلى الوقت وتتجاوز مع تطور المستوطنة⁽²⁴⁾.

وفي المستقبل الآجل، عندما تتجمع المستوطنات وتنتشر على الأرض ولما تأخذ كل مستوطنة حيويتها وتبين أهميتها، تقرر الدولة الفرنسية بذل المزيد من التضحيات لاستمرار حياتها وتطورها، ولابد أن يكون هذا الأمر سريعا وفي القريب العاجل، وتخصص الحكومة الفرنسية كل سنة قروضا متوسطة المدى، كما هناك أشغال تقررها طبيعة الأرض والمناخ وأخرى يحددها الحذر من المسلمين، وهذه الأشغال هي:

* حفر الآبار المائية وإنجاز النافورات والأحواض والسواقي وكل ما يتصل بالخدمات المائية، لأنه لا استيطان بدون مياه سواء المخصصة للسقي الزراعي أو لشرب المعمرين ومواشيهم.

* استحداث الأسوار ونصب المتارس وحفر الخنادق بكل قرية وبلدية استيطانية حتى تتمكن من الدفاع عن نفسها والتصدي لاعتداءات الجزائريين.

وتحتاج المستوطنات الأوربية إلى الأمن العاجل، لكن قبل توفير الأمن، يجب الاهتمام بعملية إيجاد سكان أوربيين للقرى الجديدة بالغرب الجزائري⁽²⁵⁾.

لقد توصلت الحكومة الفرنسية إلى تأسيس عدد من القرى ونشرت خبر ذلك في الجزائر وفرنسا، وتم تجهيز الأراضي وأعدت المخططات لها، التي أودعت بباريس عبر مكاتب الشؤون الجزائرية، وبالجزائر العاصمة عبر مديرية الداخلية، وبوهران عبر مديرية العقار، وفي كامل بلديات فرنسا. واعتمدت عملية تحديد الأراضي على مجهود الضابط " إيلي " وخرائط البلديات، ووضع دفتر شروط لكل بلدية تضمن ما يلي:

* مختصر الدراسات الأولية المنجزة في سبيل تأسيس القرى الاستيطانية.

* التزامات الدولة الفرنسية تجاه المستوطنين المقاولين، وهي كالاتي:

- تمويل الدولة الفرنسية بطريقة مستعجلة لشبكة الاتصالات بين القرى أو المستوطنات، بفتح الطرقات.
- توزيع قروض على المستوطنين لحفر آبار مائية أو مطاحن، ويجب أن تكون هذه القروض جاهزة في السنة الأولى⁽²⁶⁾.
- التزام الحكومة الفرنسية بالاستجابة لحاجيات المستوطنين الأوروبيين للمؤسسات كالكنائس، والكهنة وغير ذلك... حسب توصيات اللجنة الاستشارية المعتمدة من طرف مجلس إدارة المستوطنة أو البلدية.
- التزام الحكومة الفرنسية بدعم كل مبادرة داخل المستوطنة ذات مصلحة عامة.
- تقديم الحكومة، منح، للمستوطنين الأوروبيين الذين يواجهون مصاعب تعيق استقرارهم.
- تشتري الحكومة الفرنسية من الكولون القمح والشعير لمدة عشر سنوات بسعر منخفض عن السعر المتداول في أسواق ما وراء البحار، وكل مستوطن يمكن له تقديم خمسة قناطر في الهكتار الواحد كأقصى حد⁽²⁷⁾.
- يلتزم المستوطن؛ بأن يستقر ببلديته لمدة تتراوح بين ثلاث وخمس سنوات ويجب أن يستقر ثلث العائلات الأوربية في نهاية السنة الثانية. وللمقاول حق توزيع الأراضي على العائلات الأوربية وكذا تسوية شروط الاستقرار بالبلدية أو القرية مع المستوطنين، وتحفظ الدولة برقع المساحة لفائدة العائلات الأوربية الراغبة في بناء منازلها بنفسها. وفيما يلي الشروط الإجبارية التي يخضع لها المقاول الأوربي:
- أ- تخصيص قطعة محددة من الأراضي لفائدة البلدية، تقدر بخمس المساحة العامة.
- ب- إدراج ضمن العقود السابقة مع الكولون الأوروبيين شرطا آخر يعتبرهم ملاكا لأربع هكتارات على الأقل من الأراضي الزراعية بعد استيفائهم لكافة التزاماتهم⁽²⁸⁾.
- ج- الشروع في تعمير البلديات بشريا مع تحري الاستمرارية في ذلك من خلال تكتيف المنازل والسكنات داخل البلديات مع تخصيص قطعة من الأراضي للعائلات الأوربية التي لم تستقر بعد.
- د- تخصيص مساحات للبستنة وللزراعة، للعائلات غير المستقرة. وتبقى هذه المساحات جاهزة وتمنح لمقاولين آخرين إذا ما تم التخلي عن المقاولين السابقين ورجوع الأراضي للدولة، ويتم ذلك تحت مراقبة وكيل أملاك الدولة وكذا المفتش المكلف بمتابعة الاستيطان بالبلديات المختلطة⁽²⁹⁾.

الخلاصة

بناء على ما تقدم نلاحظ أن كوادر الاستعمار الفرنسي قد بذلوا جهدا كبيرا في سبيل إنجاح مشروعهم الاستيطاني بالجزائر، واعتقدوا أن جيشهم القوي سيقفل المقاومة الجزائرية التي حافظت على حياتها وصيرورتها من خلال تغيير القيادات والزمان والمكان داخل القطر الجزائري مستعينة بتحصيناتها الطبيعية وإرادة شعبه. ويبقى موضوع الاستيطان الفرنسي بالجزائر مفتوحا أمام الأعلام الوطنية الجزائرية والتدقيق في شأنه يتطلب دراسة التوسع الاستيطاني الأوربي حسب الجهات أو المدن وهو ما يطلق عليه بالتاريخ المحلي.

الإحالات:

1. قنون، حياة. "الاستيطان الفرنسي ومصادرة أراضي الجزائريين خلال القرن التاسع عشر." مجلة الحوار المتوسطي، العدد 3-4، جامعة سيدي بلعباس، مارس 2011-2012. ص 149.
2. Julien, Charles André. **Histoire de L'Algérie Contemporaine 1827-1871**. Editions Presse Universitaires de France, Paris, 1964. P : 76.
3. Capitaine, Froelicher. **Trois Colonisateurs**, Henricharles-lavauzelle, paris, 1902. P : 41.
4. **حكم** لويس فليب فرنسا بين 1830-1848 حيث سقط من عرش الملك على إثر الثورة الفرنسية الثالثة سنة 1848 والتي استبدلت النظام الملكي الدستوري بالنظام الجمهوري للمرة الثانية في تاريخ فرنسا.
5. Capitaine, Froelicher, Op, Cit, P : 42.
6. وفعلا أصدرت الحكومة الفرنسية نداء للهجرة إلى الجزائر وتوطينها وهو موجه للأوروبيين عامة والفرنسيين خاصة ومن حينه انتقل الاستيطان من الحر إلى الرسمي أن أن الاستيطان صار مؤطرا من قبل الدولة الفرنسية.
7. Capitaine, Froelicher, Op, Cit, P : 43.
8. Ibid , p : 45.
9. Ibid, p : 51.
10. مكث الاحتلال الإسباني بوهرا لمدّة 357 سنة وبالمرسى الكبير لمدّة 361 سنة وحينها نلاحظ أن المدّة التي سجلها الضابط "فروليشر" تحتاج إلى إعادة نظر.
11. Capitaine, Froelicher, Op, Cit, P : 61.
12. مصطلح الأهالي عند بيجو يعني القبائل الجزائرية التي أعلنت ولاءها للإدارة الاستعمارية الفرنسية سواء التي تعودت على خدمة الأجنبي مثل قبائل الزمالة والدواير أو التي تعرضت للضغط والقهر والقمع بفعل مناصرتها للمقاومة.
13. Capitaine, Froelicher, Op, Cit, P : 63.
14. Idem.
15. البلديات الثمانية المقصودة في هذا السياق هي: حاسي موسى الطويل Nemours، حسيان الطوال Joinville، بوفاطيس Saint-Louis، قديل Saint-Cloud، حاجة خيرة Sainte-Adélaïde، حاسي الحمود Saint-Eugène، بطيوّة Saint-Leu، تليّلات Sainte-Barbe.
16. المثلث الاستيطاني : يقصد به تلك المقاطعة الخصبة التي حددها الفرنسيون لتكون نموذجا ممتازا للاستيطان الأوربي بالغرب الجزائري وتأخذ شكل مثلث بحيث قاعدته تمتد من وهران إلى مستغانم وقمته معسكر.
17. Julien, Charles André. Op, Cit, P : 246.
18. De Lamoricière et Bedeau. **Projets de colonisation pour les provinces D'Oran et de Constantine**. Imprimerie royale, Paris, 1867. PP : 9-10.
19. De Lamoricière et Bedeau. Op, Cit, P : 11.

20. Idem.

21. وبهذا الصدد نلاحظ أن الفرنسيين قد جعلوا من الاحتلال الروماني للجزائر القديمة (نوميديا) مرجعهم وروجوا أنهم أحق بالأرض التي امتلكها يوما أجدادهم علما أن غالبا وهي فرنسا الحالية كانت مستعمرة رومانية لا أكثر ولا أقل شأنها شأن نوميديا.

22. De Lamoricière et Bedeau. Op, Cit, P :12.

23. Ibid, P :13.

24. Idem.

25. Ibid, P :14.

26. Ibid, P :15.

27. Ibid, P :16.

28. Ibid, P :17.

29. Ibid, P :18.

30. Ibid, P :19.